

وسائل الإعلام بين مغبّة اللّحن والعجز عن تخريج الصّواب

د. عبد القادر سلّامي (*)

تقديم:

يتناول هذا البحث أمثلة ممّا تتناقله بعض وسائل الإعلام العربية من لُحون لا يجوز أن تُذاع في النَّاس في العالم العربيّ. وليس الذنب ذنب هذه المحطّات الإشعاعية دائماً. فكثيراً ما تبعث إدارات حكومية ألفاظاً مغلوطةً فيها فتسري تلك الأغلاط من محطة إلى محطة، وغياب المدقّقين اللغويين في تلك الوسائل لا يدرأ عنها اللّحن؛ مع سوق هذه الوسائل لبعض الألفاظ والعبارات المسكوكة، التي درج المذيعون وأغلب ضيوف حلقاتهم وأركانهم على استعمالها، وذلك دون إدراك منهم لأوجه الصّواب فيها أو أن يقووا على تخريجها، بما تُملّيه طبيعة النّحو أو الصّرف أو الدلالة.

ويسعى هذا البحث إلى الوقوف على بعض الأخطاء المقترفة ومحاولة إثبات بعض ما صحّح من ألفاظ وعبارات لا نملك بعد تخريجها إلاّ القول بصواب رأي من أقرّها، وذلك قصد حماية ما بقي فصيحاً سليماً من ألسنة العرب أو لجبر ما يمكن جبره منها، بما يعزّز الرغبة في إحياء مبدأ تنقية اللغة العربية الذي كان سائداً عند الأسلاف.

(*) قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات - جامعة تلمسان - الجزائر.

1- تعريف اللحن:

ارتبط اللحن في معظم المعاجم العربية بدلالات مختلفة، منها: الفطنة والذكاء⁽¹⁾ والتورية⁽²⁾ والغناء وحسن الصوت⁽³⁾ والتظرف في الحديث⁽⁴⁾ والميل

(1) والشاهد على ذلك، عن أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنّ منه شيئاً، فإنها أقطع له قطعة من النار». (ينظر: مالك: الموطأ، ص 509، الحديث رقم 1397)، «أي أظن لها وأغوص عليها». ينظر: ابن دريد: كتاب الملاحن، ص 56، والسيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 568/1، ولحن يلحن لحناً، فهو لحن إذا أصاب وفظن، ويقال رجل لحن ولحن. (القالبي: أبو علي إسماعيل القاسم البغدادي، مراجعة نخبة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م، 5/1، والبليوسي: الاقتصاب في شرح أدب الكاتب، 244/1).

(2) ويقصد بها استعمال معنى قريب والمراد معنى بعيد، «ويقال لحن فلان إذا قلت له قولاً يفهمه ويخفى على غيره؛ لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم» (الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، ص 437، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 53/3)، ومن شواهد هذا المعنى ما قاله الشاعر مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري (ت 60هـ) في جارية له:

مَنْطِقٌ بَارِعٌ (*) وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَأً وَخَيْرٌ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

بمعنى أن أفضل الحديث هو الذي يفهمه الشخص المراد إفهامه دون غيره. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 530، وابن عبد ربه: العقد الفريد، 480/2. وقد اختلفت الروايات في وصف كلمة (منطق) فهي (صائب) في الجاحظ: البيان والتبيين، 102/1، والقالبي: الأمالي في لغة العرب، 6/1، والشريف المرتضى: أمالي المرتضى، 14/1، و(رائع) في عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص 26.

(3) ومما يروى في هذا المعنى قول الشاعر ابن مخرمة السعدي:

وَهَاتِفَيْنِ بِشَجْوٍ بَعْدَمَا سَجَعَتْ وَرُقُ الْحَمَامِ بِرَجِيعٍ وَإِزْنَانِ
بَاتَا عَلَى غُصْنٍ بَانَ فِي دُرَى فَنَنْ يُرَدَّدَانِ لِحُونًا ذَاتَ أَلْوَانِ

ينظر: القالبي: الأمالي في لغة العرب، 6/1، وابن منظور: لسان العرب، 381/13، مادة (لحن). وقد اتصل بهذا المعنى التغميم والترتيل في القرآن. ينظر: عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ص 12، ويوهان فك: العربية، ص 246.

(4) هو خلط الكلام الأصلي بكلام أجنبي عنه، وقد روي عن إسماعيل بن إسحاق (282هـ) عن نصر بن عليّ (ت 565هـ) عن الأصمعيّ (ت 216هـ) عن عيسى بن عمر (ت 149هـ) قال: «قال معاوية (41هـ-60هـ) للناس: كيف ابن زياد فيكم؟ قالوا: ظريف على أنه يلحن، قال: فذاك أظرف له». ينظر: القالبي: الأمالي في لغة العرب، 5/1، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 53/3.

ومعنى القول وفحواه⁽⁵⁾ والرَّمز والإشارة⁽⁶⁾ واللَّغة أو اللَّهجة الخاصَّة⁽⁷⁾؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ اقتران معناه بالخطأ جاء متأخراً دعت إليه حاجة اللُّغة العربيَّة إلى

(5) وممَّن ذكر هذا المعنى ابن الأثير (ت 606هـ) في قوله: «اللحن: الميل عن جهة الاستقامة». ينظر: ابن الأثير: مجد الدين السعادات المبارك الجزري، المطبعة العثمانية، 1311هـ، 3/1. ورد هذا المعنى كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (الآية 30 من سورة محمد)، "وهذا هو الكلام المورى به المزال عن جهة الاستقامة والظهور بالزيادة والتقصان في ترثمه". (ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 239/5، مادة (لحن). وقال أبو بكر الأنباري (ت 328هـ) في معنى هذه الآية أي في مذهبه ووجهه. (ينظر: القالي: الأمالي في لغة العرب، 4/1، وينظر: إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، 820/2، مادة (لحن)).

(6) وممَّا تذكره مصادر اللغة في هذا المعنى، أنَّه في غزوة الخندق، بعث الرسول ﷺ سعدًا بن معاذ (5هـ) وسعدًا بن عباد (15هـ) ومعهما عبد الله بن رواحة (ت 8هـ) وحوثنا بن حُبَيْر إلى بني قُرَيْظَةَ لِيَتَيْبِنُوا ما إذا كانوا قد نكثوا عهدهم مع الرسول ﷺ، وقال لهم: «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقًا فالحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تفتوا!» في أعضاء النَّاس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للنَّاس». (ينظر: ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، 238-237/3، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي: أيام العرب في الإسلام، ص 61. (ولا تفتوا: أي لا تسيئوا إلى النَّاس. (ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 436/4، مادة (فت)). ولما رجع الرِّسَل سلّموا على الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالوا: (عضل والقارة) (*) فعلم النبي الكريم أنَّ بني قريظة نكثوا عهدهم. عضل والقارة: قبيلتان من كنانة، غدرتا بأصحاب رسول الله ﷺ. (ينظر: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي: أيام العرب في الإسلام، ص 61). فقوله الحنوا لي لحنًا أعرفه بمعنى أشيروا إليَّ بإشارة أعرف مدلولها ولا تفصحوا. (عضل والقارة) (*) فعلم النبي الكريم أنَّ بني قريظة نكثوا عهدهم و(*) عضل والقارة: قبيلتان من كنانة، غدرتا بأصحاب رسول الله ﷺ. ينظر المرجع السابق، ص 61.

(7) وشواهد هذا المعنى كثيرة نذكر منها ما روي عن شريك (ت 92هـ) عن أبي إسحاق (ت 87هـ) عن أبي ميسرة (ت 63هـ) في تفسير كلمة العرم في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ﴾. (الآية 16 من سورة سبأ)، قال: "العرم: المسناة (*) بلحن اليمن أي بلغة اليمن". (ينظر: القالي: الأمالي في لغة العرب، 5/1 والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 134/1). والمسناة: ظفيرة تُبنى للسَّيْل لتردَّ الماء؛ وسُمِّيت كذلك لأنَّ فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه ممَّا لا يغلب، وهو مأخوذ من قولك: سَنَيْتُ الشَّيْءَ والأمر إذا فتحت وجهه. (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 406/14، مادة (سنا). وفي حديث للرسول صلى الله عليه وسلم: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتائب». (ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 54/3 وعوض حمد القوزي: المصطلح النحوي، ص 9). ولحون العرب هنا تعني طرائفها في الكلام من إمالة وإشمام ونحو ذلك ممَّا تعرف به لهجاتهم من خصائص تيسيرا للمتعلِّمين. (ينظر: عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي، ص 9).

التصويب اللغويّ، وذلك بفعل الاختلاط الذي حدث بين العرب والأعاجم في صدر الإسلام، إذ عانت من ظاهرة مستهجنة وغريبة على اللسان العربيّ الفصيح، وهي ظاهرة اللحن التي انتشرت في أوساط العامة بله الخاصّة. وقد تفضّن لخطرها العديد من جهابذة العلماء وكذلك الخلفاء، ومنهم عبد الملك بن مروان (65هـ-86هـ) الذي كان يحذّر أبناءه من الوقوع في اللحن بقوله: "إِنَّ اللَّحْنَ فِي مَنْطِقِ الشَّرِيفِ أَقْبَحُ مِنْ آثَارِ الْجُدْرِيِّ فِي الْوَجْهِ، وَأَقْبَحُ مِنَ الشَّقِّ فِي ثَوْبٍ نَفِيسٍ"⁽⁸⁾. وهو ما عرف عندهم بمبدأ تنقية اللغة العربية.

واللحن في العربية إمالة الكلام عن جهته الصّحيحة، يقال: لَحَنَ لَحْنًا، وهو عند ابن فارس (ت 395هـ) من الكلام المولد، لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطبائعهم السليمة⁽⁹⁾، وهو يغيّر المعنى واللفظ ويقبله عن المراد به إلى ضده حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه⁽¹⁰⁾، كما أنّه هَدَمَ لكيان اللّغة وإنشاء كيان آخر على أنقاضه⁽¹¹⁾، ومن الشواهد الدالة على هذا المعنى قول: السيّد الحميريّ إسماعيل بن محمد⁽¹²⁾ (ت 173 هـ):

وَإِنِّي لِسَانِي مَقْوُولٌ لَا يَخُونُنِي وَإِنِّي لَمَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ مُتَقِنٌ
أَحْوَكُ وَلَا أَقْوِي وَلَا أَجِينُ وَكَمْ قَائِلٍ لِلشَّعْرِ يَقْوِي وَيَلْحَنُ

ونشير في هذا الصّدد إلى التداخل الموجود بين اللحن والخطأ بحيث يستعملهما المتكلم بمدلول واحد، بينما نجد ثمة فرقاً بينهما: "فاللحن صرفك الكلام عن جهته. ثم صار اسماً لازماً لمخالفة الإعراب، والخطأ إصابة خلاف ما

(8) الجاحظ: البيان والتبيين، 170/2 وابن قتيبة: عيون الأخبار، 158/2، وابن عبد ربه: العقد الفريد، 478/2.

(9) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 54/5، مادة (لحن).

(10) السيد البليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، 244/1، والقلقشندي: صبح الأعشى، 169/1.

(11) ينظر: محمد الحباس: دراسة تطور المفردات العربية من خلال كتب اللحن، ص 47.

(12) المرزباني: الموشح من مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، ص 16.

يقصد وقد يكون في القول والفعل، واللّحن لا يكون إلا في القول. تقول لحن في كلامه ولا يقال لحن في فعله، كما يقال أخطأ في فعله، إلا في استعارة بعيدة⁽¹³⁾.

وقد عدّ محمد بن القاسم الأنباري (ت 304هـ) اللّحن من الأضداد حين قال: "واللّحن حرفٌ من الأضداد؛ يقال للخطِ لحن وللصّواب لحن"⁽¹⁴⁾. وتابعه ابن الأثير في ذلك⁽¹⁵⁾.

ويذكر أنّ أوّل لحن سمع بالبادية هو (هذه عصاتي) أمّا في العراق. فهو: (حيّ على الفلاح)⁽¹⁶⁾.

2- مظاهره:

ورد اللّحن في لغة العرب بأشكال عديدة، منها:

أ- إسقاط حركات الإعراب:

وهو أوّل مظهر من مظاهر اللّحن على اللّسان العربيّ، ودليل ذلك قول أبي الطيّب اللّغوي (ت 351هـ): "واعلم أنّ أوّل ما اختلّ من كلام العرب فأخوج إلى التعلّم الإعراب"⁽¹⁷⁾.

وروي عن بشير بن مروان (ت 102هـ) أنه قال لغلام له - وعنده عمر بن عبد العزيز (99هـ-101هـ): ادع لي صالحا، فقال الغلام: يا صالحا، فقال له بشر: ألقي منها ألف، قال له عمر: وأنت فرزد في ألفك ألفاً⁽¹⁸⁾.

(13) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص 46.

(14) الأنباري: الأضداد، ص 238.

(15) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 56/4.

(16) الجاحظ: البيان والتبيين: 172/2 وينظر: عبد الجليل مرتاض: بواد الحركة اللسانية الأولى عند العرب، ص 87.

(17) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص 5.

(18) ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، 167/2، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ص 480/2.

ب - اللحن الصّوتي :

ويتمّ بإبدال صوت لم يتعوّد الأعجميّ النطق به بصوت آخر مألوف له، ومثال ذلك قول فيل مولى زياد الأعجم (ت 100هـ): "اهدؤا لنا هِمَارَ وَهْشٍ"⁽¹⁹⁾؛ أي حمار وحش. ومثلها إبدال العين همزة، والذال دالا، والظاء ضادًا، والسّين صادًا، وغيرها.

ج - اللحن الصّرفي:

ويتعلّق ببنية الكلمة، ويبدو جليًّا في قول يوسف بن خالد السّمني (ت 189هـ) لعمر بن عبّيد (ت 144هـ): "ما تقول في دجاجة ذبحت من قفائها؟ قال له عمرو: أحسن، قال: من قفاؤها. قال: أحسن، قال من خفاءها: قال عمر: ما عَنَّاكَ بهذا؟ قُلْ من قفاها واسترَحْ"، ولحن يوسف أيضًا في قوله (هذا أحمُرُّ من هذا)، والمراد هذا أشدَّ حمرة من هذا⁽²⁰⁾.

د - استعمال الألفاظ العربية في غير موضعها:

في مثل قول عبّيد الله بن زياد (ت 67هـ) لجنوده: (افتحوا سيوفكم)، وقصد: (سلّوا سيوفكم)، وليس من عادة العرب استعمال (الفتح) للسيوف⁽²¹⁾.

هـ - طغيان بعض الألفاظ الفارسيّة التي لها مقابل العربيّة:

وانتشر ذلك في المدن، وأورد الجاحظ (ت 255هـ) أمثلة كثيرة عن هذا النّوع، منها تسمية التّقاء أربعة طرق (مربّعة) عند أهل البصرة و(الجهارسوك) عند أهل الكوفة وهي كلمة فارسية ويسمّون القثاء^(*) خياراً، والخيار فارسيّة⁽²²⁾.

(19) ابن قتيبة: عيون الأخبار: 159/2.

(20) الجاحظ: البيان والتبيين، 168/2.

(21) المصدر نفسه، 210/2، وشكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، ص 268.

(*) القثاء: نوع من البطيخ، نباتي، قريب من الخيار لكنه أطول، واحدته قثاءه، وهو اسم جنس لما يسمّى بمصر: الخيار والعجوس والفقوس. ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ص 715، مادة (قثاً).

(22) الجاحظ: البيان والتبيين، 20/1، شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية: ص 270.

نماذج من لحن وسائل الإعلام:

يجدر بنا بعد هذه المقدمة أن نقف على جملة من الأخطاء التي يذيعها المذيعون وتتناقلها محطات الإعلام المكتوبة والمسموعة، ومنها:

1 - الإطار أو مِلاكُ (مِلاكُ) لا الكادر:

للكلمة الفرنسية (cadre) معان كثيرة في علوم وفنون مختلفة، كالإدارة والصناعة والتشريح والنّحالة (حيث تطلق كلمة كادر على النّحيّة) والعمارة والجيش والبحرية والسكة الحديد والكهرباء والأدب والفنون الجميلة والمعادن والتصوير الشمسي والمسرح وغيرها من العلوم والفنون⁽²³⁾. والذي يهمننا ذكره من معاني ذكره من معاني كلمة كادر المشتركة معنيان⁽²⁴⁾:

- المعنى الأول، وهو الأشهر: حاشية من خشب أو برنز أو من غيرها توضع فيها مرآة أو رسم أو قطعة فنية أو غيرها. فالكادر هنا هو إذن الإطار، وهي كلمة مشهورة تستعمل لهذا المعنى وجمعها أطُرٌ.

- والمعنى الثاني، للكلمة الفرنسية المذكورة هو معنى إداري، وهو بيان الدوائر والوظائف في إحدى الإدارات أو المديرات، وهو أيضا بيان الضباط وضباط الصف في الجيش.

فالكلمتان العربيتان المصطلح عليهما في اللغة العربية للدلالة على هذا المعنى هما: "الإطارُ" و"الملاكُ". فكلّ شيء أحاطَ بشيء فهو إطارٌ، ويُقال: بنُو فلان إطارٌ لبني فلان، إذا حلُّوا حولهم. ويقال: أطرتُ العودَ، إذا عَطَفْتُهُ، فهو مَاطُورٌ، وجمعه أطُرٌ⁽²⁵⁾. أمّا مِلاكُ الأمرِ ومِلاكُهُ، فِقِوَامُهُ الذي يُمَلِّكُ به،

(23) مصطفى الشهابي: أخطاء تنقلها محطات الإذاعة، 650/2.

(24) Le Petit Larousse, page 164.

(25) ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 113/1، مادة (أطر).

وُخَلَّصَتْهُ وَعَنْصَرَهُ الْجَوْهَرِي⁽²⁶⁾، وهو اصطلاح - حسن الملاك كان قد وُضِعَ في مجمع اللغة بدمشق منذ سنين عديدة، وعمّ استعماله سورية ولبنان وغيرهما. يقال مثلاً: هذا "ملاك مديرية الشرطة"؛ أي بيان ما فيها من وظائف وأعمال للموظفين والمستخدمين. ويمكن - استثنائياً - جمع ملاك على ملاكات، مثلما جاء سجّل وسجلاّت مثلاً. أما تكسير ملاك قياسياً فهو أملكة للقلة ومملك للكثرة⁽²⁷⁾.

ويتضح من ذلك أنه لا حاجة إلى تعريب كلمة (cadre) ولا إلى جمعها على كوادِر، ومن المؤسف أن نرى هذه الرطانة تسري إلى الدوائر الإعلامية العربية.

2 - الإعداد لا المونتاج :

ارتبطت معاني الكلمة الفرنسية (Montage) بعدة معانٍ، منها: الرفع والإعلاء كرفع الشيء إلى فوق؛ ومنها التركيب والإعداد في مثل الآلة؛ أي وضع أجزاء تلك الآلة في مواضعها حتى تكتمل الآلة، يقال تركيب الآلة أو إعدادها؛ ومن معاني الكلمة الفرنسية في السينما استعراض مناظر الفيلم (film) في أشرطة، واختيار شريط نهائي؛ أي إعداد المنظر الذي سيُعرض على الجمهور⁽²⁸⁾. وقد رأى مصطفى الشهابي أنه يمكن الاكتفاء بالإعداد اصطلاحاً للدلالة على مضمونها في الفرنسية، وهي كلمة حسنة تغنينا عن تعريب الكلمة الفرنسية⁽²⁹⁾. والحق ما ذهب إليه، فقد ورد في معاجم اللغة أن عدّه: هيّاه، والإعداد: هو تهيئة الشيء⁽³⁰⁾.

(26) ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 331/3، إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 886/2، مادة (ملك).

(27) مصطفى الشهابي: أخطاء تنقلها محطات الإذاعة، 650/2.

(28) Le Petit Larousse, page 667.

(29) مصطفى الشهابي: أخطاء تنقلها محطات الإذاعة، 652/2.

(30) ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 324/1 وابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 29/1، مادة (عد).

3 - في أنحاء لا في أنحاء :

وزن " أفعال " غير ممنوع من الصرف، ذكرها المبرّد (ت 285هـ) في (باب الجمع المزيد فيه، وغير المزيد)، فقال: "فأما ما كان من الجَمع على (أفعل)، وفُعول)، نحو: أجمال^(*)، وفُلوس، فمنصرف في المعرفة والنكرة؛ لأنّه على مثال يكون للواحد. وهو جمع مُضارعٌ للواحد؛ لأنّه لأدنى العدد، أعني أفعالاً⁽³¹⁾، وكلمة "أشياء" مستثناة فهي تمنع من الصرف، فنقول فيها مثلاً: نظرت إلى أشياء عند فلان، لا إلى أشياء وهكذا⁽³²⁾ وعلى هذا يجب أن نقول مثلاً: جُلْتُ في أنحاء من الأرض لا في أنحاء من الأرض. ونقول مثلاً: للجَمَل في العربية أسماءٌ عديدة لا أسماءٌ عديدة⁽³³⁾. وعلى هذا فكثيراً ما يغلط بعض ممتهمي وسائل الإعلام فيمنعون من الصرف جموعاً جاءت على وزن أفعال تشبيهاً لها بكلمة "أشياء".

4 - الكميّ أو (الكَمَيان) بدل التدخين:

للتدخين (fumer) في اللغة الفرنسية معان، منها: تخصيب الأرض الفلاحية بالسماذ قصد تحسين مردودها، وتناثر الدُّخان (la fumée) في الهواء نتيجة احتراق الحطب أو التبغ، أو غيرهما⁽³⁴⁾.

أمّا ما يقابل الاسم والفعل في حاضر لغة العرب، فالسائد منه هو الدُّخان: "يتصاعدُ عن النَّار من دقائق الوقود غير المحترقة وبمعنى "التَّبغ"،

* أجمال: جمع جَمَل. ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 362/3، مادة (الجمل).

(31) المبرّد: المقتضب، 329/3، وينظر: حسن عباس: النحو الوافي، 206-2005/3.

(32) وأصلها "أشايي بثلاث يآت، وعن الخليل (ت 175هـ) أنّ أشياء فعلاء، وأتّها جمعٌ على غير واحد كشاعر وشعراء نائبة عن أفعال وبدل منه وجمعٌ لواحدها المستعمل وهو شبيء. أمّا الكسائي (ت 189هـ) فيرى أنّها أفعالٌ كَفَرخ وأفْرَاح تُرك صرْفُها لكثرة الاستعمال؛ لأنّها شُبّهت بفعلاء في كونها جمعت على على أشياواتٍ فصارت كحَضراء وحَضراوات فحينئذٍ لا يلزمه أن لا يُصرف أبناءٌ وأسماءٌ كما زعم الجوهري (ت 358هـ)؛ لأنّهم لم يجمعوا أبناءً بالألف والتاء. ينظر: الفيروزآبادي القاموس المحيط، 20/1، مادة (شئته) والمبرّد: المقتضب، 365/3.

(33) ينظر: المبرّد: المقتضب، 365/3 ومصطفى الشهابي: أخطاء تنقلها محطات الإذاعة، 653/2.

(34) Le Petit Larousse, p 456.

و"التدخين" تفعيل لذلك. وعلى هذا فـ"دَخَنَ التَّبَعُ": أحرَقَهُ متعاطياً إِيَّاهُ" و"دَخَنَ عَلَى الشَّجَرِ أَوْ عَلَى الثُّوبِ: طَهَّرَهُ بِبَخُورٍ خَاصٍّ لِيُقْتَلَ مَا بِهِ مِنَ الْآفَاتِ". وهو مما أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة⁽³⁵⁾.

فعلى أيّ أساس تمّ له ذلك؟ ونحن نعلم أن القياس يستلزم وجود لغة حديثة مقيسة على لغة قديمة من باب موازنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال أو معنى بمعنى⁽³⁶⁾؛ قياس لا يتمّ إلا بطريقة منطقية كونه يساعدنا على صياغة ألفاظ جديدة واشتقاقات قد تكون شائعة في اللغة القديمة، وقد تكون نادرة فيها أو قد تكون غير موجودة إطلاقاً، فما بالك والمعاني بعدُ ليست قائمة إلا على سبيل التوهم؟ والإنسان لا يقوم مقام النار بأي حال من الأحوال. ففي المعجم العربي ما يدلّ على أنّ الدُّخَانَ: "ما يكون عن الوُفُودِ. يُقَالُ: دَخَنَتِ النَّارُ تَدَخُنُ وَدَخَنْتُ وَادَخَنْتُ: إِذَا ارْتَفَعَ دُخَانُهَا، وَدَخِنْتَ تَدَخِنُ: إِذَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهَا حَطْبًا فَأُفْسِدَتْ حَتَّى يَهْبِجَ لَذَلِكَ دُخَانٌ. وَيُقَالُ دَخَنَ الْغُبَارُ: ارْتَفَعَ. وَالدُّخْنَةُ مِنَ الْأَلْوَانِ: كُدْرَةٌ فِي سَوَادٍ. وَالدُّخْنَةُ: بَخُورٌ يَدَخِنُ بِهِ الْبَيْتُ"⁽³⁷⁾.

فالدُّخَانُ يكون عن نار وقودها الحَطْبُ أَوْ الْبَخُورِ أَوْ التَّبَعِ الذي يستحيل، على اعتبار ما سيؤول إليه، دُخَانًا يُكْمَى (يُسْتَرُّ) فِي الصِّدْرِ وَمَا احْتَرَمَ عَلَيْهِ، فِيهْبِجُ، ثُمَّ يَخْرُجُ جَلَّهُ أَوْ جِزَاءً مِنْهُ بِالطَّرِيقَةِ الْمَعْهُودَةِ عِنْدَ مُتَعَاتِي التَّبَعِ؛ وَلَا بَأْسَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُطْلَقَ الدُّخَانُ عَلَى التَّبَعِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ وَوَفْقَ الْمَالِ، وَهُوَ مَا لَا نُنْكِرُهُ عَلَى الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

(35) إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، 276/1، مادة (دخن).

(36) ينظر: ابن جني: الخصائص، 358/1 والسيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، ص 96، وابن هشام: شرح جمل الزجاجي، ص 355.

(37) ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 336/2، مادة (دخن) والفيروزآبادي: القاموس المحيط، 223/4، مادة (الدخن).

من ذلك لفظ "كَمْي" الذي نعده وجهًا صالحًا من وجوه المقابلات الموضوعية لما في (عملية التدخين) بمفهومها الحديث. فهو في أصل الوضع "يدل على خفاء شيء". من ذلك: كَمْي فلان الشهادة: إذا كَتَمَهَا... ولذلك سَمِيَ الشُّجَاعُ: الكَمِي. قالوا: هو يتكَمَى في سلاحه؛ أي: يَتَغَطَّى به. يقال: تَكَمَّتِ الْفِتْنَةُ النَّاسَ: إِذَا غَشِيَتْهُمْ" (38).

والجدير بالذكر أن عامة أهل المغرب العربي ما زالوا يصرُّون على الفعل "كَمْي" في مقابل (دَخَن) و"المصدر" الكَمِيَان في مقابل (التدخين)، وكأنه من (باب ما تنكره الخاصة على العامة وليس بمنكر) (39). فإذا كانت مادة "كَمْي" ما زالت تحظى بمثل هذا التداول، وقد انحسر مداها في الدلالة على كتمان السر والشهادة الذي كانت تضطلع به جنبًا إلى مع مادة "كَم" (40)، فما أحوجنا اليوم إلى دلالتها المحسوسة التي انزوت في ركنٍ صغيرٍ من أركان الدلالة الأصلية، وعثرنا عليها في بعض النصوص القديمة في صورة اللفظ نفسه أو بعض مشتقاته، وارتكزنا فيه أساسًا على مبدأ التوسُّع في قبول ما نطقت به العامة وكان جاريًا على لهجة عربية معروفة (41)، تتصل بالفصحى بأكثر من سبب، و ينتظر الإقرار الطوعي من المجتمع العربي في مشرقه بعد أن لقيَه في مغربه.

وبعيداً عن التشكيك في قدرة المجامع اللغوية العربية، ومنها مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي نشهد له بالريادة، على عقد الصلة بين موروث الخلف والسلف من الألفاظ الكفيلة بسدّ النقص المصطلحي الحاصل في لغة العرب في مقابل ما يفد علينا من مصطلحات أجنبية وممارسات تنحسب علينا تبعاتها.

(38) ابن فارس معجم مقاييس اللغة، 137/5، مادة (كمي)، وينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 386/4، مادة (كمي).

(39) وهو عنوان جعله ابن مكِّي الصقلي (ت501هـ) لأحد أبواب كتابه، حاول فيه إنصاف العامة فيما ذهبوا إليه. ينظر: ابن مكِّي الصقلي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص 186-193.

(40) "الكاف والناء واللام أصل صحيح يدل على إخفاء وسرّ". ابن فارس: معجم مقاييس اللغة 157/5، مادة (كتم).

(41) ينظر في هذا الصدد: عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء علم اللغة الحديث، ص 169.

بعيداً عن كل ذلك فإننا نهيّب بهذه المجامع أن تداوم التنقيب والتنقيب في كتب اللغة ومعاجمها بحثاً عن مقابلات موضوعية تغنينا عن اللّهُث وراء العديد من الترجمات على النحو الذي حظيت بها كلمة "المَنَامَة" في مقابل كلمة "pyjama(s)" التي عملت بعض المجامع اللغوية جاهدة على ترجمتها دون أن تلقى أيّ من الترجمات المقترحة القبول⁽⁴²⁾. والمصطلح في تراث العرب يحمل أسباب انبعائه.

5- دَخَلْتُ البَيْتَ لَا دَخَلْتُ إِلَى البَيْتِ :

يتعدّى الفعل دخل إلى مفعوله بدون حرف الجرّ، تقول: (دَخَلْتُ البَيْتَ) فَإِنَّ البَيْتَ مَفْعُولٌ، وتقول (البَيْتَ دَخَلْتَهُ. فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ أَقُولُ: دَخَلْتُ فِيهِ. قِيلَ: هَذَا كَقَوْلِكَ: عَبْدُ اللَّهِ نَصَحْتُ لَهُ وَنَصَحْتُهُ... فَتَعَدَّهُ إِنْ شِئْتَ بِحَرْفٍ، وَإِنْ شِئْتَ أَوْصَلْتَ الفِعْلَ... أَلَا تَرَى أَنَّ (دَخَلْتُ) هُوَ عَمَلُ فَعَلْتَهُ، وَأَوْصَلْتَهُ إِلَى الدَّارِ، لَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ مَا كَانَ مِثْلَ الدَّارِ. تَقُولُ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ، وَدَخَلْتُ البَيْتَ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَتَدْخُلَنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ﴾⁽⁴³⁾. فَهُوَ فِي التَّعَدِّي كَقَوْلِكَ: عَمَرْتُ الدَّارَ، وَهَدَمْتُ الدَّارَ، وَأَصْلَحْتُ الدَّارَ؛ لِأَنَّهُ فِعْلٌ وَصَلَ مِنْكَ إِلَيْهَا، مِثْلُ: صَرَبْتُ زَيْدًا⁽⁴⁴⁾.

فعلى هذا يجري الفعل (دخل) وغيره من الأفعال في التعدية من منطلق المخصوص والمبهم، وهو ما أيده ابن الشجري (ت 542هـ) ببعض الشواهد، فقال: "ومما حذفوا منه (إلى) قولهم (دَخَلْتُ البَيْتَ) و(ذَهَبْتُ الشَّامَ) ولم يستعملوا ذهبٌ بغير (إلى) إلا للشَّامَ، وليس كذلك (دَخَلْتُ المَسْجِدَ) و(دَخَلْتُ السُّوقَ)"⁽⁴⁵⁾.

(42) ينظر: علي القاسمي: مقدمة في علم الترجمة، ص 88-89.

(43) الآية 27 من سورة الفتح.

(44) ينظر: المبرد: المقتضب، 3339-338/4.

(45) ابن الشجري: الأمالي الشجرية، 368-367/1.

* الخلاصة:

لقد وقفنا ممّا قدّمنا له في هذا البحث على بعض مظاهر اللّحن عند القدماء ونهاذج له عند بعض الخلف ممثلاً في وسائل الإعلام، الأمر الذي أوقفنا على مدى إدراك السلف لمبدأ الصّواب قبل مبدأ الخطأ في اللفظ والعبارة، بما يزيد من انحسار العربية من التداول عند الخاصّة، ويفتح المجال أمام احتمالات العُجمة في ألسنة العامّة ويفتح المجال واسعاً أمام الأخذ بما في أيدي الأعاجم دون إدراك لوجود النظائر في لغة العرب، فتلغى بذلك المفاضلة التي بين المُجتهد والمقصر التي قال يحيى بن خالد (ت129هـ) إقراراً بجدواها: "ما رأيت رجلاً قطّ إلاّ هبته حتى يتكلّم، فإن كان فصيحاً عظّم في صدري، وإن قصر سقط من عيني" (46).

المصادر والمراجع:

أ - العربية:

* القرآن الكريم.

- 1 - الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان.
- 2 - ابن الأثير، مجد الدين السعادات المبارك الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، المطبعة العثمانية، 1311هـ.
- 3 - إبراهيم، محمد أبو الفضل والبجاوي، علي محمد: أيام العرب في الإسلام، ط3، دار إحياء الكتب العربية، 1983م.
- 4 - ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين: شرح جمل الزجاجي. دراسة وتحقيق علي محسن عيسى مال الله، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ-1985م.
- 5 - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 6 - ابن أنس، أبو عبد الله مالك: الموطأ، رواية يحيى بن يحيى الليثي، إعداد أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، 1987م.
- 7 - ابن جنبي، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
- 8 - ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: كتاب الملاحن، تحقيق عبد الإله نبهان، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.
- 9 - ابن السيّد البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد: الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، تحقيق محمد باسل عيون السّود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م.

- 10 - ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي: الأمالي الشجرية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- 11 - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1956م.
- 12 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجليل، بيروت، 1991م.
- 13 - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري:
* الشعر والشعراء، تحقيق حسين تميم ومحمد عبد المنعم العريان، ط5، دار إحياء العلوم، بيروت، 1995م.
* عيون الأخبار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- 14 - ابن مكي الصقلي: أبو حفص عمر بن خلف: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، قدّم له وقابل مخطوطاته وضبطه مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1410هـ-1990م.
- 15 - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1994م.
- 16 - أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي: مراتب النحويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر العربي، 1974م.
- 17 - الأنباري، محمد بن القاسم، الأضداد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987م.
- 18 - أنيس، إبراهيم ومنتصر عبد الحليم والصواحي عطية، وخلف الله أحمر محمد: المعجم الوسيط، طبعة حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، دار الفكر.

19 - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، 1968م.

20 - الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهري، والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، تقديم عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت.

21 - الحباس، محمد: دراسة تطور المفردات العربية من خلال كتب اللحن، رسالة ماجستير بإشراف شكري السيد الخلوي، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، 1983م.

22 - حسن، عباس: النحو الوافي، ط3، دار المعارف بمصر.

23 - السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن :

* الإتيقان في علوم القرآن، وبهامشه إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1973م.

* الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1976م.

* المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى بك، ومحمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986م.

24 - الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي العلوي: أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.

- 25 - الشهابي، مصطفى: أخطاء تنقلها محطّات الإذاعة، المجلد 42، الجزء الثاني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1387هـ-1967م.
- 26 - العسكري، أبو هلال، الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م.
- 27 - عوض، حمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، 1981م.
- 28 - فك، يوهان: العربية، دراسة في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، 1400هـ-1980م.
- 29 - الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- 30 - فيصل، شكري: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، ط5، دار العلم للملايين.
- 31 - القاسمي علي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 32 - القالي، أبو علي إسماعيل القاسم البغدادي: الأمالي في لغة العرب، مراجعة نخبة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.
- 33 - القلقشندي: أبو العباس أحمد: صبح الأعشى، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1913م.
- 34 - المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- 35 - مرتاض، عبد الجليل: بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، دار الأشراف للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/1988م.

36 - المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمر بن موسى: الموشح من مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، مصر، الجديدة، 1965م.

37 - مطر، عبد العزيز: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ط1، دار المعارف بمصر، 1401هـ-1981م.

ب- الأجنبية:

1 - Le Petit Larousse-Larousse - Paris - Cedex06, 2003.